الفصل السابع

العالم المسيحى اليوم يتنكَّر للمسيح ... !

● **بلا كرامة بين أهله :**

منذ نحو ألفى عام جاء المسيح يدعو الإسرائيليين إلى التوبة والعودة إلى الله . . . فكانت لهم مواقفهم المعروفة منه ، « فكانوا يعثرون به ، **فقال لهم يسوع : ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وبين أقربائه وفى بيته ، ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة** - مرقس ٦ : ٤ - ٥ » .

واليوم ، بعد نحو ألفى عام يتعرض المسيح لأحط البذاءات والإهانات والسخرية والتجريح ، وإذا كان ما حدث له فى الماضى لم يتعد قرية أو مدينة أو بضعًا من هذه أو تلك ، فإن عصر العالمية اليوم يطوِّف بهذه الإهانات فى الآفاق .

*

● **إهدار كرامة « عيسى المسيح أسمى النجوم » :**

لم يتغير شىء . . فقديمًا قال لهم المسيح : « **املأوا أنتم مكيال آبائكم** ، أيها الحيات أولاد الأفاعى : كيف تهربون من دينونة جهنم - متى ٢٣ : ٣٢ - ٣٣ » .

وهاهم اليوم يملأون مكيال آبائهم مضاعفًا عشرات المرات . . . فها هو **المؤلف اليهودى** توم رايس يكتب مسرحية ساخرة بعنوان : « **عيسى المسيح أسمى النجوم** » ، يضع ألحانها **الملحن اليهودى** أندرو للويد وبر ، ويخرجها **المخرج اليهودى** چيم شارمان !

والمسرحية ليست مسرحية بالمعنى التقليدى ، وإنما هى - كما سماها بعض النقاد - ملهاة موسيقية ! فكلماتها من الشعر الذى يلقى بشكل غنائى على أنغام موسيقى حديثة مثل الچيرك ، تصاحبها رقصات حادة كالتويست والروك ! وقُل بعد ذلك ما تشاء فى هذا الجو العابث الساخر ، الذى تقدم فيه سموم العقائد وتغيير المفاهيم ، حيث الأبطال هم : المسيح ويهوذا ونساء كاسيات عاريات !

*

● **وخلاصة هذه المسرحية :**

● **أن المسيح ساذج مضطرب غير مؤمن برسالته .**

ففى العشاء الأخير ومعه تلاميذه ، يقول :

« **ليتكم تذكرونى عندما تأكلون وتشربون ...**

لا بد أنى مجنون إذا أتصور أنى سأذكر ...

نعم ... لا بد أنى فقدت عقلى ! » .

وفى الحديقة ، بعد العشاء ، حين بدأ يعانى الخوف والاضطراب ، يقول :

« **لقد تغيرتُ .. لم أعد واثقًا ، كما كنت عندما بدأنا ..**

حينذاك كنت مُلهمًا . . والآن إنى حزين وتعب . . لقد بالغت فى توقعاتى . .

أريد أن أعرف يا إلهى . . . لماذا يجب أن أموت . . إذا مت فماذا سيكون ثوابى ؟! . . اقتلنى وخذنى الآن . . **قبل أن أغير رأيى ! »** .

*

● **وأما النقطة الثانية والخطيرة فهى أن المسيح هو الذى دفع يهوذا لخيانته ، فما ذنبه إذن ؟ لقد كان ينفذ رغبة سيده !**

ففى أحد المشاهد - فى العشاء الأخير - يجرى الحوار هكذا :

« **المسيح : لماذا لا تذهب وتفعلها ؟**

يهوذا : هل تريدنى أن أفعلها ؟

المسيح : اسرع فإنهم ينتظرون .

يهوذا : ليتك علمت لماذا أفعلها . .

المسيح : لا أبالى لماذا تفعلها » .

وفى مشهد آخر ، يتعلق بانتحار يهوذا شنقًا :

« يهوذا : يا إلهى ! . . إنى لأعلم إلى من سيوجه كل إنسان اللوم . . **لو استطعت أن أنقذه من معاناته لفعلت ..**

أيها المسيح . . أعرف أنك لا تستطيع أن تسمعنى . .

لقد فعلت فقط ما أردتنى أن أفعل . .

إلهى ! لن أعرف قط لماذا اخترتنى لإتمام جريمتك ؟!

جريمتك البشعة الدموية !

لقد قتلتنى . . لقد قتلتنى . .

(يتأرجح جسد يهوذا فى حبل المشنقة)

الكورس : **مسكين يهوذا العجوز . .**

وداعًا يا يهوذا . . » .

* *

● **السقوط المخزى فى « التجربة الأخيرة للمسيح » :**

فى عام ١٩٥٥م أصدر الكاتب اليونانى نيكوس كازانتزاكس روايته « **التجربة الأخيرة للمسيح** » ، التى ألحقت بالمسيح كل أذى وشر ، وكانت مع ذلك من أكثر الكتب رواجًا . . .

وفى عام ١٩٨٨ تحولت هذه الرواية النجسة إلى فيلم داعر . . .

وفى هذا الفيلم ، يظهر المسيح إنسانًا ضعيفًا مترددًا ، يتعاون مع الرومان إذ يصنع لهم صلبانًا - بحكم أنه نجار - يعدمون عليها الثوار اليهود ، أما تلميذه يهوذا فهو وطنى غيور ، مقاوم للاستعمار الرومانى ، لا يعجبه سلوك معلمه يسوع فيوبخه بعنف قائلاً : « **يا خائن ! أنت متعاون معهم !** يهودى تصنع صلبانًا لهم ! . . » .

ثم يعترى المسيح كرب عظيم ، « فيهيم على وجهه حتى يقف أمام باب . . وخلف الباب يكتشف ماخورا تمارس فيه مريم المجدلية الدعارة ، يطلب منها المغفرة **ثم يسقط فى الإثم** . . ثم يرحل إلى الصحراء للتأمل ، إلا أنه يبقى قلقًا ومشوش الفكر فيما يتعلق برسالته وحقيقة مهمته .

وفى إحدى الليالى ، على جبل الزيتون ، **يُحَرِّضُ يهوذا ، أفضل أصحابه على خيانته من أجل تنفيذ خطة الله !**

يقول يسوع ليهوذا : افعلها من أجلى !

فيجيبه يهوذا : لا أستطيع .

فيلح عليه قائلاً : افعلها من أجل الحب !

وأخيراً يفعلها يهوذا ، وتسير الأحداث حسب روايات الأناجيل ، فيعلقونه على الصليب ، وهناك فى لحظة تفكير حالم **يظهر يسوع وهو يمارس الجنس مع مريم المجدلية !**

وبطريقة خفية ينزل من على الصليب ، ويرتحل تجاه واد أخضر .

وهناك يمارس الجنس مع مريم المجدلية ، ثم يتزوجها .

وبعد موتها ، يتزوج مريم أخت لعازر - الذى أقامه من الأموات ، **ثم يزنى بأختها مرثا !**

ثم يرى يسوع بطرس ويوحنا ويهوذا قادمين إليه ، **ويسبه يهوذا قائلاً : أيها الخائن ! لقد طلبت منى أن أبيعك ، لكنك لم تمت على الصليب ، إن الفتاة الصغيرة التى تراءت لك لم تكن ملاكًا ، إنها شيطان ؟ » .**

وهكذا فعلوا بالمسيح تحت سمع العالم المسيحى وبصره !

* *

● **هذا التخاذل الجبان ! :**

عجيب أمر تلك المؤسسات الدينية المسيحية فى الغرب . . .

يهان المسيح صباح مساء - وما رأيناه إلا قطرة من بحر - ويصاب فى نفس الوقت أولئك الذين يسيطرون على تلك الشعوب العدمية . . . كأنهم هنا لا يسمعون ولا يبصرون ولا ينطقون ، فلا علاقة لهم بموضوع يواجهون فيه اليهود ، حتى وإن تعلق بربهم يسوع المسيح . . .

وتحرف الأناجيل ويعبث بها ، ولا تجد إلا صمت القبور . . .

وعلى الجانب الآخر تجد عجبًا . . .

تسن القوانين ، وتغلظ العقوبات ضد كل من يقترف ما من شأنه إغضاب اليهود ،

فها هى فرنسا ، التى أشاعت بين الناس أنها بلد الحرية والإخاء والمساواة ، تصدر تشريعًا فى ١٣ يوليو ١٩٩٠ يعرف « بقانون جيسو ، على اسم النائب الشيوعى الذى تبنى هذا القانون ، والذى يجرِّم أى تشكيك فى الجرائم المقترفة ضد الإنسانية ، بإضافة المادة ٢٤ مكرر إلى قانون حرية الصحافة لعام ١٨٨١ ، جاء فيها : يعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها فى الفقرة السادسة من المادة ٢٤ ، كل من ينكر . . وجود أى من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت فى المادة ٦ من النظام الأساسى للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع فى ٨ أغسطس ١٩٤٥م » (١) .

وهكذا ، أعاد هذا القانون فى فرنسا جريمة الرأى التى سادت عصر نابليون الثالث ، وجعلت قانونًا قمعيًا يعوِّض ضعف الحجج . . .

وبعد مضى عام على صدور هذا القانون ، أُقْترِحَ تعديله ، ولكن دون جدوى ، ومنذ ذلك التاريخ حُرِّم على أى مؤرخ أن يضع استنتاجات محكمة نورمبرج موضع الشبهات أو المراجعة !

فإذا كان الغرب المسيحى يصدر تشريعات تعاقب الذين يغضب منهم اليهود لما يتصورونه إهانة لحقت بهم أو تحيزًا ضدهم ، فلماذا - إذن - لا يصدر الغرب المسيحى تشريعات تجرِّم إهانة المسيح والتعريض به . . . أليس هذا أضعف الإيمان ؟!

وإذا كان المسيح قد قال فى الإنجيل : « **من ليس معى فهو علىّ** - متى ١٢ : ٣٠ » .

فالآن ، ما رأى هؤلاء المسيحيين الصامتين : شعوبًا واكليروس ؟!

مع من هم الآن ؟!

مع المسيح أم عليه ؟!

وإذا كانوا عليه ، فلماذا لا يعلنونها صراحة ، لينطبق واقع الحال مع واقع المقال . . .

* * *

(١) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية : رجاء جارودى : ص ١٩١

خـاتـمة

● **ليس كل اليهود صهاينة :**

هذه حقيقة واقعة لا بد من معرفتها وتقريرها ، حتى لا تختلط الأوراق ويقع الظلم على أبرياء ، وفى هذا المقام نذكر عددًا من اليهود الذين عارضوا الصهيونية التى تقوم على فكرة **القومية اليهودية** ، بمعنى أن الجماعات التى تدين باليهودية لها قومية يهودية مشتركة ، وأن إسرائيل هى وطن لجميع اليهود ، وأن اليهود خارج إسرائيل مبعثرون فى أرض الغربة التى تعتبر أرض المنفى .

*

فها هو **الفريد ليلينتال** قد بدأ معارضته لإسرائيل منذ قيام دولتها عام ١٩٤٨ ، ونشر مقالاً فى مجلة « **ريدرز دايجست** » عام ١٩٤٩ بعنوان : « **راية إسرائيل ليست رايتى** » ، حذر فيه من عواقب الصهيونية ، ثم اتبع كتابه الأول : « **ثمن إسرائيل** » ، الذى صدر عام ١٩٥٣ ، بكتاب آخر صدر عام ١٩٥٧ هو : « **اتجاه الشرق الأوسط** » ، ثم بكتاب آخر صدر عام ١٩٦٥ هو : « **الوجه الآخر للعملة** » ، وفى عام ١٩٧٨ نشر **ليلينتال** أضخم وأشمل مؤلفاته وهو : « **الصلة الصهيونية** » الذى يركز على تطور الحركة الصهيونية ونشاطها فى الولايات المتحدة ، وهذا الكتاب يقع فى ٨٧٢ صفحة ، ومطعم بالحقائق والمقتبسات ، وقد قالت عنه مجلة « **الشئون الخارجية** » : إنه ذروة **روائع ليلينتال** فى صراعه ضد الصيهونية .

* *

وهذا الصحفى الشجاع **أ . ستون** الذى يجاهر بتنديده بالسياسة الإسرائيلية ، يقول فى أسى : « **لقد ضلت إسرائيل السبيل ، وهذه الحقبة هى أسود حقبة فى تاريخ الشعب اليهودى ، فمن حق العرب أن يعاملوا كبشر** » .

وقد ألف **ستون** كتابًا عنوانه : « **الطريق السرى إلى فلسطين** » يدور القسم الأكبر منه حول رحيله مع اليهود من معسكرات الاعتقال النازية حتى وصوله إلى فلسطين ،

فطلب منه أحد الناشرين إلغاء فقرة فى كتابه تدعو إلى : حل الدولة الثنائية التى أقرتها الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وإنشاء حكومة لدولة موحدة على أرض فلسطين تضم الشعبين العربى واليهودى ، لكن ستون أبى وأصر على موقفه ، فلم ينشر الكتاب فى الولايات المتحدة ، ولكنه نشر بعد ذلك بالعبرية فى إسرائيل دون حذف الفقرة ، وهكذا تتحقق مرات ومرات صحة المقولة التى قالها أحد أعضاء الكونجرس الأمريكى ، وذكرناها سلفًا وهى أن نقد السياسة الإسرائيلية فى إسرائيل أيسر كثيرًا من نقدها فى الولايات المتحدة .

ويقول ستون : « **أجد نفسى - مثل كثيرين من زملائى المفكرين الأمريكيين ، يهودًا كانوا أم غير يهود - منبوذًا كلما حاولت التحدث عن الشرق الأوسط** ، هذا فى حين أن المنشقين من اليهود وغير اليهود فى الاتحاد السوفيتى يعتبرون أبطالاً عن جدارة ، ونادرًا ما نحظى نحن المنشقين ، بسبب الشرق الأوسط ، بفرصة عابرة فى الصحافة الأمريكية لنرفع صوتنا . . وإن العثور على دار نشر أمريكية مستعدة لنشر كتاب يخرج عن الخط الإسرائيلى المعتمد ، هو بمثابة صعوبة بيع تفسير عميق الإلحاد لصحيفة الأوبزر فاتورى ردماثوا فى مدينة الفاتيكان » .

وقد نشرت صحيفة « **واشنطن بوست** » فى ١٩ أغسطس ١٩٧٧ ، مقالاً **لستون** أعرب فيه عن تخوفه من « **دبلوماسية التوراة** » ، ولا سيما محاولة الاستشهاد بالتوراة لتبرير استمرار سيطرة إسرائيل على الضفة الغربية ، فقد قال : « ليس ثمة من يجهل أن التوراة فى القرون الوسطى كانت تحفظ فى حرز من الحرير ، ويبقيها الكهنة بعيدة عن أيدى الجماهير لئلا تشوش أفكارهم ، ويكون بينهم شقاق وفتنة . . **وقد يكون الوقت قد حان لحفظ الكتاب المقدس من حرز حرير من جديد على الأقل إلى أن ينتهى النزاع العربى الإسرائيلى** » [1] .

*

(١) من يجرؤ على الكلام : ص ٤٦٣

والحق أن هذا هو السبيل الوحيد المتبقى لحل الصراع العربى الإسرائيلى ، وإقامة سلام على العدل ، وإلا ، فإن المستقبل فى منطقة الشرق الأوسط ينذر بالكثير من المآسى والنكبات .

* *

وها هو **المر برجر** اليهودى الأمريكى ، يكتب كتابًا بعنوان « **اليهودية دين لا قومية** » [1] يمثل أهداف « **المجلس الأمريكى لليهودية** » الذى ينتمى إليه برجر وألوف غيره من اليهود الأمريكيين ، يرفض فيه المزاعم الصهيونية ، بل ويقاومها على طول الخط .

يقول **المر برجر** : « منذ أعلنت أمانى الصهيونية من الوجهة السياسية على العالم أجمع عن طريق **وعد بلفور عام ١٩١٧** ، كانت توجد دائمًا الشعوب العربية المناوئة للصهيونية ، كما كانت هناك قوى أخرى تناوئ هذه الحركة من جانب الحكومة البريطانية فى معظم الأحيان ، فى الفترة التى كانت تقوم فيها بريطانيا بالانتداب على فلسطين ، **وكثيرًا ما أيدت حكومة الولايات المتحدة الموقف السياسى لمناوئى الصهيونية ، ومن أمثلة ذلك سحب الولايات المتحدة تأييدها تقسيم فلسطين ، وذلك فى الجلسة الخاصة التى عقدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى أوائل عام ١٩٤٨** .

ويختص هذا **الكتاب** بمعارضة اليهودية لفكرة الصهيونية ، تلك المعارضة التى تقوم على أساس أن اليهودية دين لا قومية ، **وهذه الفكرة هى التى يقوم على أساسها المجلس الأمريكى اليهودى ، المناوئ للصهيونية** » [2] .

*

● **أهداف المجلس الأمريكى لليهودية :**

« **يعتقد المجلس الأمريكى لليهودية أن اليهودية دين ، وأن اليهود الأمريكان هم من مواطنى الولايات المتحدة ، وليسوا أعضاء لجالية يهودية قائمة بذاتها** ، تتميز بمصالحها الدنيوية التى تختلف عن المصالح الدنيوية لرفقائهم الأمريكان الذين يدينون بعقائد أخرى . .

---

(١) سلسلة اخترنا لك ، الناشر : دار المعارف . (٢) المرجع السابق : ص ٧ - ٩

إن الصهيونية حركة سياسية قومية قامت للنهوض بمصالح إسرائيل القومية ، عن طريق جهاز يقوم على أساس أن جميع اليهود يشتركون فى حقوق والتزامات أساسية معينة ، وينسبون إلى مواطنى إسرائيل الشرعيين .

ويعتقد المجلس أن اليهودية لا تقتضى موقفًا معينًا تجاه سيادة دولة إسرائيل ، أو تجاه الحركة الصهيونية التى تنادى بالقومية اليهودية خارج البلاد ، ويدين بعض اليهود بالصهيونية ، وبعضهم الآخر لا يدين بها ، كما أن هناك من يعارضها كالأمريكان الذين يدينون بعقائد أخرى . .

أما دولة إسرائيل بالنسبة لليهود الأمريكان من أعداء الصهيونية ، فهى تعتبر دولة أجنبية لها نفس الوضع بالنسبة للأمريكان ممن يدينون بعقائد أخرى ، فهى ليست إلا وطنًا لمواطنيها فقط ، إذ أن اليهود الأمريكان الذين ينكرون فكرة الصهيونية ليس لهم - ولا يريدون أن يكون لهم - أى من الحقوق أو الالتزامات التى تتمشى وحقوق والتزامات مواطنى إسرائيل ، فهم يقومون بمساعدة إخوانهم فى الدين ممن هم فى احتياج لمساعدتهم ، سواء فى إسرائيل أو فى أى بلد آخر . .

ويعتقد المجلس أن دولة إسرائيل لا تكون بأى حال من الأحوال تحقيقًا لنبوءة التوراة ، أو تحقيقًا لمثل اليهودية العالمية ، وعلى ذلك فإن الدولة الإسرائيلية لا تطابق معتقدات اليهود الدينية » (١) .

*

ليس كل اليهود صهاينة ، إذن ، وليسوا جميعًا خدامًا فى البلاط الملكى الإسرائيلى ...

ولقد أنصف القرآن كل يهودى يقول الحق ويقضى بالعدل ، فقال : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُون بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) المرجع السابق : ص ٢٣ - ٢٥ (٢) الأعراف : ١٥٩

والآن : ماذا نقول ؟ . . .

نقول بعض ما يجب أن يقال . . .

فنقول للإسرائيليين ولليهود الصهاينة ، بعض ما تنبأ به **النبى أشعياء** فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، حين قال :

« هو ذا السيد رب الجنود ينزع من أورشليم ومن يهوذا السند والركن . .

واجعل صبيانًا رؤساء لهم ، وأطفالاً لا تتسلط عليهم . .

ويظلم الشعب بعضهم بعضًا ، والرجل صاحبه . .

لأن أورشليم عثرت ويهوذا سقطت ، **لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب .. ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شراً . .**

شعبى ظالموه أولاد ، ونساء يتسلطن عليه .

يا شعبى مرشدوك مضلون ، ويبلغون طريق مسالكك .

قد انتصب الرب للمخاصمة ، وهو قائم لدينونة الشعب .

الرب يدخل فى المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم . . سَلَبُ البائس فى بيوتكم . . . **ما لكم تسحقون شعبى وتطحنون وجوه البائسين ؟!** .

وقال الرب : **من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممددات الأعناق ، وغامزات بعيونهن** ، وخاطرات فى مشيتهن . . يُصلح السيد هامة بنات صهيون ، **ويعرى الرب عورتهن** - أشعيا ٣ : ١ - ١٧ » .

إن التاريخ يعيد نفسه ... هذه حقيقة .

وإن غداً لناظره قريب ...

* *

هذا - ونقول للمسيحيين - ما يقوله لهم **چون كريج سكوت** :

« إن القول بأنه : لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، لا يزال له معنى سليم ، **كذلك فإن القساوسة لا يمكنهم خدمة الله واليهودية** . . . . .

إن اليهودى يدرك تمامًا ما عليه .. وهو قد وضع المسيحى فى المكان الذى يريد أن يراه فيه ، أما المسيحى فإنه ، جنتلمان ، وصل من درجة السمو الإنسانى بحيث لا

يصدق معه وجود مثل هذه الخطة الشيطانية الدنسة ، فضلاً عن إدراك إمكان مساسها به أو التأثير عليه . . .

إن المسيحية تقف فى موضع التجربة أو الحكم من أجل حياتها ، فإذا لم تصحو من نومها الطويل وتنتبه إلى الأمر الواقع قبل فوات الفرصة ، وتتخذ مباشرة إجراءات مناسبة لمقابلة التحدى - إذا لم تفعل ذلك ، فإنه مقضى عليها لا محالة .

إن عدوها اللدود هو الصهيونية .

إن أعداءها يزخرون بالحيوية وقد تجمعوا فى منظمات قاسية نشطة ، تعمل حسب خطة وفى سبيل تنفيذها وهى الخطة ، التى تهدف إلى غرض واحد هو إذلال المسيحية وإخضاعها . .

إن الخطة التى اكتشفت ليست بالأمر الجديد ، إنها تكشف استراتيجية قديمة يأمل اليهود بواسطتها أن يكملوا تحطيم المسيحية بقلب قيمها الأخلاقية .

وعلى الكنيسة المسيحية أن تختار . . .

وعلى نتيجة الاختيار يتوقف مصير العالم كله .

وعلى قرار كل رجل الآن يتوقف مصيره الشخصى وخلوده الروحى » (١)

* *

وأخيراً ، ماذا نقول للمسلمين ؟ . . .

نقول : أفيقوا ! يرحمكم الله ! أو انتظروا قارعة . . .

إن **الخطة الصهيونية العالمية** حقيقة تجسدها دولة إسرائيل ، دولة لا تريد أن تعيش كما تعيش كل الدول ، ولكنها دولة مصابة بجنون العظمة وطيش القوة ، فهى صورة ممسوخة من النازية ، إن هذا ما كشفت عنه حقائق التاريخ ، وما قرره يهود لا يشك فى إخلاصهم ليهوديتهم وحرصهم على مصالح شعبهم اليهودى .

*

● **بين الصهيونية والنازية :**

يقول **مارتن بوبر** ، أحد الأصوات اليهودية الكبرى فى هذا القرن :

« إن الشعور الذى اعترانى منذ ستين عامًا عندما انضممت إلى الحركة الصهيونية ،

---

(١) الحكومة السرية فى بريطانيا : ص ٩١ - ١٠٧

هو فى جوهره نفس الشعور الذى يعترينى اليوم .. لقد كان أملى ألا تتبع هذه القومية طريق الآخرين .. وعندما عدنا إلى فلسطين كان السؤال الحاسم هو : أتود أن تحضر إلى هنا كصديق وكأخ وكعضو فى مجتمع شعوب الشرق الأوسط ، أو كممثل للاستعمار والإمبريالية ؟ لقد كان التناقض بين الهدف ووسائل بلوغه سببًا فى انقسام الصهاينة .. **ولقد فضلت غالبية اليهود أن يتعلموا من هتلر بدلاً من أن يتعلموا منا .. ولقد برهن هتلر على أن مسار التاريخ لا يساير مسار العقل ، ولكن مسار القوة ، وعندما يكون أى شعب على قدر من القوة ، فإنه يستطيع أن يقتل دون عقاب** .. وهذه هى الحالة التى كان علينا أن نحاربها » (١) .

*

وقال **جوداس ماجنيس** رئيس الجامعة العبرية فى القدس ، فى بيان ألقاه عند افتتاح هذه الجامعة عام ١٩٤٦ : « **إن الصوت اليهودى الجديد يتكلم عبر فوهات البنادق .. وهذه هى التوراة الجديدة لأرض إسرائيل .. ليحفظنا الرب الآن من اقتياد اليهودية وشعب إسرائيل إلى هذا الجنون ، إنها يهودية ملحدة** تلك التى طغت على جزء كبير من الشتات القوى .. ويتحمل جميع يهود أمريكا مسئولية هذه الغلطة وهذا التحول » (٢) .

*

وفى ١٩٨٢/٦/٨ كتب **بنيامين كوهين** ، الأستاذ بجامعة تل أبيب ، وأثناء الغزو الإسرائيلى الدامى للبنان ، إلى صديقه **بيرفيدال ناكيه** ، وهو أستاذ فرنسى يهودى يدرس التاريخ بجامعة السوربون ، يقول له : « أكتب إليك وأنا أستمع إلى راديو الترانستور الذى أعلن « أننا » فى سبيل تحقيق هدفنا فى لبنان ، وهو ضمان السلام لأهالى الجليل ، **وهذه الأكاذيب الجديرة بشخص كجوبلز ، تجعلنى كالمجنون** ، ومن الواضح أن هذه الحرب الشرسة الضارية ، لا علاقة لها بأى شىء ، لا بحادث الاغتيال الذى وقع فى لندن ، ولا بأمن الجليل ، ولا اليهود أبناء إبراهيم .. **هؤلاء اليهود الذين هم ضحايا أنفسهم من جراء هذا الكم الضخم من الضراوة والوحشية** » (٣) .

*

---

(١) النشرة اليهودية : الصادرة فى ١٩٥٨/٦/٢ ، نقلاً عن : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، تأليف رجاء جارودى : ص ٢٣

(٢) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية : ص ٢٥ (٣) المرجع السابق : ص ٢٧

وعندما قامت **الحرب العالمية الثانية** وقفت الغالبية العظمى من المنظمات اليهودية إلى جانب الحلفاء ، إلا أن **الجماعة الصهيونية فى ألمانيا** اتخذت سياسة مخالفة لذلك منذ ١٩٣٣ حتى ١٩٤١ ، فتواطأت بل وتعاونت مع هتلر ، وفى ١٩٣٣/٦/١ وجه **الاتحاد الصهيونى الألمانى** مذكرة إلى **الحزب النازى** ؛ جاء فيها : « بتأسيس دولة جديدة ، أعلنت مبدأ الجنس ، بأمل أن تتواءم طائفتان مع الهياكل الجديدة ، وإن اعترافنا بالجنسية اليهودية يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة وصادقة مع الشعب الألمانى وحقائقه القومية والعنصرية . . **وإنه فى حالة موافقة الألمان على هذا التعاون ، سيسعى الصهاينة بكل جهدهم إلى تحويل اليهود فى الخارج عن المناداة بالمقاطعة ضد ألمانيا** » (١) .

*

ولم يتوقف التعاون بين الصهيونية والنازية إلا فى ديسمبر ١٩٤١ ، عندما ألقت قوات الحلفاء القبض على **إسحق شامير** بتهمة « **الإرهاب والتعاون مع العدو النازى** » .

وهذا الماضى الإرهابى كان جواز المرور لكى يصبح **إسحق شامير** أحد رؤساء دولة إسرائيل .

ولقد صرح **بن جوريون** بأن : « **بيجن ينتمى دون شك إلى النمط الهتلرى ، فهو عنصرى على استعداد لإبادة كل العرب لتحقيق حلمه بتوحيد إسرائيل ، وهو مستعد لإنجاز هذا الهدف المقدس ، باستخدام كل الوسائل !** » (٢) .

ونسى **بن جوريون** أنه هو نفسه هتلرى عنصرى ، على استعداد لقتل اليهود أنفسهم إذا خالفوا سياساته الخاصة بإقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين ، بعد تفريغها من سكانها العرب الأصليين بالقتل والإرهاب ، وإجبار يهود العالم على الهجرة إليها ، ففى عام ١٩٤٠ قرر الإنجليز إنقاذ اليهود المهددين من هتلر باستضافتهم فى جزيرة موريشيس ، لكن هذا لم يرض عصابة الهاجاناه ورئيسها بن جوريون ، فعندما توقفت الباخرة التى كانت تقلهم ، وهى ناقلة البضائع الفرنسية باتريا ، فى ميناء حيفا يوم ١٩٤٠/١٢/٢٥ ، قامت الهاجاناه بتفجيرها ، مما أدى إلى مقتل ٢٥٢ يهوديًا ، إضافة إلى طاقم الباخرة .

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٥ (٢) المرجع السابق : ص ٨٥

وهكذا كانت البداية ، ولا تزال إلى اليوم : قتل ، وإرهاب ، وجنون عظمة ، وأكاذيب . . .

فماذا المسلمون عساهم يفعلون ؟! .

* *

● القدس معركة كل المسلمين :

إن المسلمين قوة عظمى من قوى العالم ، ولا شك ، فلقد أعطاهم الله من كل شيء . . . أعطاهم الموقع المتميز ، والثروات الطبيعية الهائلة ، والقوى البشرية الغنية .

إن العالم العربى هو قلب العالم الإسلامى ، وأما القدس فهى قلب العالم العربى ، **إن المعركة الآن هى معركة القدس** ، فهى غاية يتوحَّد حولها عالم الإسلام .

إن البعد الإسلامى لقضية القدس هو أخشى ما تخشاه إسرائيل الصهيونية ، ولهذا يعملون من أجل تمزيق وحدة المسلمين ، وليس أمام المسلمين من سبيل سوى الوحدة ، ونبذ الفرقة والانقسام .

لا مكان اليوم - وخاصة فى هذا الظرف الخطير - لتفريق المسلمين تحت مسميات ما أنزل الله بها من سلطان ، لا مكان اليوم للحديث عن : سُنَّة وشيعة . . . مالكية وزيدية . . . أفارقة وآسيويين . . . جماعات ناجية وجماعات فى النار . . .

إن هذه التفرقة فى الإسلام قرين الكفر .

فالحق يقول : ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ (١) .

﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (٢) .

ويقول رسول الحق : « **لا ترجعوا بعدى كفاراً ، يضرب بعضكم رقاب بعض** » (٣) .

ولقد حدث هذا فعلاً . . . وإلا فما تلك الحروب المجنونة التى أشعلها مجرمون مجانين بين شعوب الإسلام . . .

إن أحداً لن ينجو من خطر إسرائيل الصهيونية . . . فلسوف تضرب القريب والبعيد ، سواء من يمد يد السلام أو يمد يد الاستسلام .

---

(١) الأنبياء : ٩٢ (٢) آل عمران : ١٠٥ (٣) رواه البخارى ومسلم .

وحتى تكون الأمور أكثر تحديداً ، ولا تضيع فى متاهات الخطب الطنانة والأشعار الرنانة التى أضاع العرب فيها أعمارهم ، ولا يزالون ، لا بد من التركيز على قوتين أساسيتين فى متناول اليد ، هما : **الإرادة السياسية ، والإعلام القوى** .

لقد أنشئ « **المؤتمر الإسلامى** » - أو بتعبير أدق أعيد إخراجه - فى عام ١٩٦٩ عقب حريق المسجد الأقصى .

وهو الآن « **هيكل** » قائم ، عليه أن يتعهد **قضية القدس** . وإلا فما فائدته إذن ؟ . . .

ولما كانت **كثرة الأيدى تفسد الطبخة** ، كما يقال ، كان المنطلق البدء فوراً فى إنشاء لجنة تنفيذية من ثمان دول . . . قوية وقادرة على القول والفعل ، هى :

المغرب - مصر - تركيا - المملكة العربية السعودية - إيران - باكستان - كازاخستان - أندونيسيا .

هذه اللجنة تمثل الإرادة السياسية لعالم الإسلام ، وتستطيع أن تدير الصراع بكفاءة واقتدار .

وأما الإعلام ، فهو فى عالمنا العربى والإسلامى دون المستوى المطلوب . . . عشرات المؤتمرات والاجتماعات لكبار مسئولى الإعلام ، وأحاديث مملة عن استراتيجية إعلامية إسلامية ، و . . . إلخ ، ولا شىء ، نعم لا شىء . .

يكفى أن يجرب المواطن اختياراً عشوائيًا لقنوات الإعلام العربى ، مثلاً ، ويقارنه بقنوات الإعلام الأوروبى والأمريكى ، شتان بين هذا وذاك ، حتى فى أمور الهزل تجد القوم هنا مُغيَّبين . . . « **الآخر** » صعد إلى القمر وغاص فى أعماق البحار ، و« **الأنا** » غارق فى أشعاره ودخانه الأزرق وخرافاته . . .

إن الإعلام هو نفير المعركة . . . هو البداية إلى النصر أو هو النهاية إلى الهزيمة . . . والنصر ممكن - بإذن الله - حين تعد العدة ويؤخذ بالأسباب .

﴿ **وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (١) .

* * *

(١) يوسف : ٢١